

صورة مهيار الدمشقي في شعر أدونيس

دكتورة / أميرة محمد سرانك

الملخص باللغة العربية :

إن الشاعر المفكر " أدونيس "، قد أثار الكثير من الجدل حوله، بسبب الأفكار والآراء التي يطرحها في شعره، وقد ارتبط اسمه بمصطلح " الحداثة " في شكل القصيدة وبنائها ومضمونها. ويتناول البحث توظيف الشاعر " أدونيس " لشخصية تراثية هي " مهيار الدمشقي "، محاولاً الربط بين ملامحها التراثية والتعبير عن ملامح فكرية وحضارية.

الملخص باللغة الإنجليزية:

The poet thinker "Adonis", has caused a lot of controversy about him, because of the ideas and opinions he puts in his poetry, and his name has been linked to the term "modernity" in the form of the poem, its construction and its content. The research deals with the employment of the poet "Adonis" for a traditional figure, "Mehyar Al-Dimashqi", trying to link her heritage features with expressing intellectual and cultural features.

يعد علي أحمد سعيد، الذي اشتهر بإسم أدونيس، واحداً من أشهر الشعراء العرب، الذين قاموا بالتجريب في مجال كتابة الشعر.

وتهتم هذه الدراسة بالتركيز علي طرح الشاعر السوري "أدونيس" لشخصية "مهبّار الدمشقي"، مع التركيز علي ديوان "أغاني مهبّار الدمشقي" تحديداً.

وقد وُلد هذا الشاعر "علي أحمد سعيد" وقد اشتهر بإسمه المستعار "أدونيس" بقرية قصابين التابعة لمدينة "جبلّة" في سوريا.

وهو اختار اسم "أدونيس" (تيمناً بأسطورة أدونيس الفينيقية)، والذي خرج به علي تقاليد التسمية العربية منذ العام ١٩٤٨م.^١

- وفي الأساطير، كان "أدونيس" معروفاً باسم تموز عند البابليين أو أدونيس عند اليونانيين والرومان. وامتدت عبادته إلى معظم المدن الفينيقية، ولكنه عُرفَ بأسماء أخرى.

وقد درّس شاعرنا في الجامعة اللبنانية، ونال درجة الدكتوراة في الأدب عام ١٩٧٣م من جامعة القديس يوسف، وأثارت أطروحته "الثابت والمتحول" سجلاً طويلاً.

وقد دعتّه عدة جامعات، ومراكز للأبحاث اعتباراً من عام ١٩٥٥م أستاذ زائراً في فرنسا وسويسرا وألمانيا والولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٥م.

كما نال عدة جوائز عالمية، وحصل علي الألقاب التكريمية، وتمت ترجمة أعماله الأدبية إلى ثلاثة عشرة لغةٍ أجنبيةٍ إعجاباً وتقديراً.

^١ حفيظ، عمر الكتابة و بناء الشعر عند ادونيس، الطبعة الأولى، دار الساقي، ٢٠١٥، ص ١٢

ولقد نجح "أدونيس" في أن يصبح شاعرًا مختلفًا، ليس فقط في توجهاته الفكرية، بل في أسلوب تعبيره عن أفكاره.

ومن أهم الأعمال الفكرية لأدونيس، كتاب "الثابت و المتحول: بحث في الإبداع والإتياع عند العرب". وقد أحدث حين صدوره في ١٩٧٣م، وحتى الآن، سجلاً أدبيًا وفكريًا؛ بين فئة تؤيد أطروحاته وتأخذ بها، وأخرى تعارضها وتختلف معها.

يقول أدونيس: "إن كل قصيدة تنحل إلى عناصرها التي انطلقت منها، سواء أكانت لغوية أو اجتماعية"^٢.

" وكان يرى أن الشاعر الأصيل هو الذي يبدع أثراً فنياً يباعد بين الأصل، وبين التشكيل الجمالي. كما يرى أن الشعر يعيد صياغة الأفكار السببية بعد أن يفرض شروطه عليهما.

على أن شعر أدونيس قُوبل بمدح من البعض و ذم من البعض الآخر. فلنأخذ علي سبيل المثال رأي الناقد "عادل ضاهر"، الذي يذهب للاعتقاد بأن " ما كان جديداً في أغاني مهيار الدمشقي هو ابتداء تحول أدونيس من الاهتمام بالعام إلي الاهتمام بالخاص." وكذلك أشار ضاهر إلي التفرد ، الذي عرفه بأنه: " بداية التدوب- أي بداية سيرورة الشخص ذاته"^٣.

وقد ثار كثير من الجدل، وقدر كبير من الرفض بشأن شعر " أدونيس" وآراءه، وذلك بسبب آرائه الجريئة، التي قدمها بشأن قضايا العالم العربي ومشكلاته، وخصوصاً ما يتصل بالتراث العربي.

وقد ارتبط اسمه في البيئات العربية المعاصرة بمصطلح الحداثة.

^٢ أدونيس، "زمن الشعر" دار عودة ٢٠٠٠ ص ١٠٥

^٣ ضاهر عادل: الشعر و الوجود: دراسة فلسفية في شعر أدونيس، دار المدي ٢٠٠٠، ص ٧

الحدائثة عند أدونيس:

"ويعد مصطلح الحدائثة من أهم المصطلحات التي أثارت الكثير من الجدل، ليس في النقد الأدبي العربي فقط و لكن في الفكر العربي عموماً، ذلك لكونه" مصطلحاً يتضمن الكثير من الالتباس والتعقيد، و لكونه أيضاً من المصطلحات القليلة التي استوعبتها أغلب العلوم الإنسانية، إن لم نقل جميعها" ^٤ فهو مصطلح شامل يعبر عن رغبة الكائن البشري في استكشاف ذاته والغوص في المستقبل البعيد.

- وقد كان الأثر الكبير للشعراء الغربيين على الشعراء العرب، أثر بالغ في الشعر العربي الحديث، وقد برز هذا الأثر في ظهور الشعر المرسل عند (عبد الرحمن شكري)، وكذلك في التجديد في اللغة عند (جبران خليل جبران) وغيرهم، وظهر شعر التفعيلة عند (نازك الملائكة) و(بدر شاكر السياب)، وكان ذلك بداية للتحرر من الشكل العمودي عند بعض الشعراء في العصر الحديث.

- ثم ظهرت قصيدة النثر على يد(يوسف الخال) و(أدونيس) وغيرهما ، كما كان (العقاد) من أبرز الداعين إلى التجديد في الشعر، "إذ أقام هجومًا عنيفًا وجادًا ضد الشعراء التقليديين، وقد استهدف أكبر الشعراء في النصف الأول من القرن العشرين، مثل شاعر النيل أحمد شوقي. فقد كان يهدف إلى تحطيم شاعريته.

وقد دخل مصطلح الحدائثة ، إلى الحياة الأدبية العربية نتيجة للمثاقفة مع الغرب، وصار متداولاً عند فئة من الكتاب العرب، الذين اتصلوا بالأدب الغربي. ثم سرعان ما انتشر في الكتابات الأدبية و في الصحافة والمجلات .

^٤ ألان تورين "نقد الحدائثة" ترجمة أنور مغيث المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٨، ص ٢٤

ويتعدى مفهوم الحداثة عند أدونيس فكرة شكل القصيدة و بنائها، إلي مضمونها . والحداثة ليست مقترنة بالزمن علي قدر ارتباطها بتجديد الفكر . تتغير فيها رؤية الإنسان إلي الأشياء، فيعيد تفكيره فيها. و هي نظرة خاصة بلغة خاصة يتجدد فيها الفكر و المضمون، ولقد توافق فكر أدونيس مع المشروع الحدائثي.

- وقد برزت في شعر أدونيس سمة " الرفض " . فكانت مواقفه الراضية، وروحه المتمردة تحتل مكانة كبيرة في شعره، بل إن بعض النقاد يعده أكبر الراضين في الشعر الحديث.

- وشمل رفضه بعض قيم الوجود، والواقع العربي في الماضي والعربي، كما شمل رفضه الواقع السياسي، والفكري، والعلاقات الإجتماعية.

- ولا شك أن ما تلقاه " أدونيس " في نشأته من تعليم، وكذلك لدراسته للفلسفة في رشده، دور كبير في نظره الفلسفية إلى المعرفة، والحقيقة، والقيم، والوجود.

- وإن " ظاهرة الرفض " قد اقترنت بالشعر العربي منذ الجاهلية، ويرجع ذلك إلى عاملين رئيسيين، وهما " طبيعة الشعر، ونفسية الشاعر .

فالشعر لم يكن ولن يكون كذلك شعراً بحق إلا لأنه ثوري، بأوسع معاني الكلمة، فكل عمل شعري، يستحق هذا الوصف بجدارة، إنما ينطوي على رؤية للواقع تتحدها وتمرد عليه"^٥.

وأما ما يرجع إلى نفسية الشاعر، فالشاعر مخلوق مرهف، متميز في المجتمع، بموهبته أو بفكره أو بروئيته وعلى ذلك تكون نظره للحياة مختلفة.

^٥ إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، ١٩٧٨م، ص ٢٣.

- ومنذ العصر الجاهلي ظهر شعراء الرفض في صوت " الشعراء الصعاليك"، وهم تلك الفئة الذين اقترن شعرهم بالجرأة، والحذر، وقوة الإرادة، وترقب الموت. وتلك الخصائص خلعت سمة الرفض والثورة على شعرهم.

- وفي عصر صدر الإسلام برز شعراء الدعوة الإسلامية بدعوتهم لاعتماد الدين الجديد، ورفض عبادة الوثنية المتوارثة عبر الأجيال، فكانت دعوتهم تهدف إلى رفض ومناقضة الدين الوثني المتوارث^٦.

- وفي العصر الحديث ازداد ارتباط الشعر المعاصر بهذه الظاهرة، وذلك لتطور الحضارة والمدنية، وما يميز هذا العصر من مشاكل وهموم عديدة، تكاد تشمل جميع الميادين والمجالات، فكانوا يلجأون إلى التعبير عن آلامهم، وآمالهم، وعلى ذلك فقد تلونت إبداعاتهم الشعرية بالثورة والرفض في كثير من أشعارهم.

- وقد كان للترجمة عن الثقافة الغربية دور كبير في استيعاب روح الديمقراطية والحرية التي ترفض روح الجمود، وتؤكد على احترام فردية الإنسان، منذ الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان.

- وقد أشار أحد علماء الاجتماع " إيريك فروم" إلى أن الرفض في حد ذاته هو وسيلة لتأكيد ذاتية الفرد، وذلك حين ربط " إيريك فروم" بين غياب ظاهرة الرفض وغياب الفردية في المجتمع، يقول: " والشخص الذي يتنازل عن نفسه ويصبح آلة متطابقة مع ملايين الآخرين المحيطين به لا يحتاج أن يشعر بأنه وحيد وقلق بعد هذا، وعلى أية حال، فإن الثمن الذي يدفعه غال، إنه فقدانه نفسه"^٧.

^٦ انظر: نوري حمودب القيسي: من صور أدب الرفض والتحدي في الأدب الجاهلي، مجلة قضايا عربية، العدد السادس، سنة ١٩٨٦م.

^٧ إيريك فروم " الخوف من الحرية " ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٤٣.

وعلى ذلك فيمكننا أن نعد الرفض نوعاً من المواجهة الصريحة للواقع، وأن مهمته تكمن في إرادة التغيير، بل يمكن أن نعهده دفاعاً عن الحرية.

وقد بدأ ظهر الرفض في الشعر الحديث استهلالاً بالثورة على القالب الشعري التقليدي باعتباره لا ينسجم مع روح العصر، وأنه لا يلبي الاحتياجات الفكرية والجمالية المستجده في عصر العلم والحرية والديمقراطية .

وقد برزت هذه الظواهر في شعر بعض الشعراء المعاصرين الكبار؛ ومنهم: أمل دنقل، أحمد عبد المعطي حجازي، صلاح عبد الصبور، عبد الوهاب البياتي، ونازك الملائكة..... وغير هؤلاء....

- وتعد نازك الملائكة بمقدمة ديوانها " شظايا ورماد ١٩٤٩م" هي أول من صاغت أفكار هذا التيار الجديد في الشعر . فقد كانت تسعى إلى التحرر من القيود القديمة التقليدية في القصيدة العربية. كما أنها عبرت عن ضرورة الثورة الشعرية التي تشمل التحرر من الأساليب القديمة، والأوزان والقوافي. كما نادى بنهج شعري جديد يتبنى لغة الرموز وقوة الإيحاء.

الرفض في شعر أدونيس :

- وإن من يقتفي أثر أدونيس الشعري، يجد أن رفضه قد مر بمراحل عدة؛ فأحد أسباب رفضه كان الوحدة، الشعور بأن الأرض، علي اتساعها، قد ضاقت به: فهو يقول:

ماش علي أجفانه ساردا

يجره مديد آهاته

تلطمه الحيرة أنى مشي

كأنها سُكني لخطواته^٨.

ويتضح بذلك الشعور بالوحدة، وعدم الرغبة في البقاء علي الواقع المضجر، المر، الذي يجعل من رفضه نتيجة منطقية. فطالما اقترن الشعور بالوحدة بالشعور بالعدمية، لذا يجد المتحدث في القصيدة السابقة ذاته معلقاً في فضاء فسيح لا نهاية له، و يشعر أن شمسه قد حان أوان رحيلها.

- و تلعب الحيرة و الشعور بالتخبط دوراً هاماً أيضاً في صياغة رفضه اللاحق، و تمرده علي واقع مقيت. فهو لا يشعر أنه ينتمي بأي شكل من الأشكال إلي هذا الواقع، لا يستطيع أن يجد لنفسه مكاناً فيه.

ويعد الشعور بالغرابة سبباً آخر للرفض، ففي إحدى قصائده يقول الشاعر:

في أول العام الجديد

قالت لنا،

آهاتنا، قالت لنا،

شدوا الرحال إلي بعيد،

أو فاسكنوا خيم الجليلد

فبلادكم ليست هنا.^٩

فهذا الشعور المتجذر بالاغتراب عن الذات، والاغتراب عن الوطن الأم، مدعاة للرفض لا شك، و سبب يستدعي التذمر و الشعور بالاختناق، فالاختيارات المتاحة بين سيئ و أسوأ: إما غربة في الوطن أو غربة في بلد أجنبي.

^٨ أدونيس "الأثار الكاملة: المجلد الأول، دار العودة، بيروت ١٩٧١، ص ٣٢.

^٩ المرجع السابق، ص ٨٤

ديوان أغاني مهيار الدمشقي :

- وعلى ذلك فنحن نجد أن كل ما كتبه أدونيس، قبل صدور طبعته الأولى من ديوان "أغاني مهيار الدمشقي"، كان خطوة لا غني عنها لصدور هذا العمل الفني. وبعض النقاد يعتبرون "على أحمد سعيد" من أكثر شعراء العرب المحدثين الذين ثار حولهم جدل كبير، إذا استطاع شاعرنا بلورة منهج جديدة في الشعر العربي، قائم على توظيف اللغة بطريقة تحمل كما كبيراً من الإبداع، والتجريب.

تخرج عن الأسلوب التقليدي، مع الالتزام باللغة العربية الفصحى، بمعاييرها النحوية.

وفي هذا الديوان نجد أدونيس يصنع من الطبيعة عالماً خاصاً به، ويستخدم اللغة لخلق عوالم سحرية، لا يحق لأحد أن يشاركه أفكاره فيها، فهو حر وطلق كالطبيعة.

وعلينا أولاً معرفة معنى الاسم "مهيار": هو علم مذكر فارسي، معناه: الجميل كالقمر. وهو مركب من "ماه: القمر" ويلفظ كذلك "مه"، و"يار: صاحب، مالك". فصار المعنى: صاحب القمر، أو الجميل كالقمر. وهذا ما يذكره قاموس المعاني.

و علي موقع آخر، يعني هذا الاسم الشخص الذي ينهار و يسقط، فإذا ما بحثنا عنه في المعاجم العربية يُرد إلي أصله، و نبحت عنه في مادة "ه،ي،ر".

و بهذا المعنى يمكننا مقارنة مهيار إلي "أوزيمنديس" الذي تحدث عنه الشاعر الإنجليزي "تشيللي"، و معنى كلمة "أوزيمنديس" ملك الرمال. و من يملك الرمال لا يملك شيئاً، إذن فهو مثل مهيار، الطبيعة له غير أنه ملك بدون مملكة فعلية، ملك من وهم.

غير أن "عدنان حيدر" و "مايكل بيرد" لهما رأي آخر، فهما يزعمان أن الكلمة صحيح أنها فارسية، لكنها كلمة مركبة. وهي تتكون من البادئة الفارسية "مه"، والتي تعني "الجيد"، وكلمة

"يار" و التي تعني المعاون أو المساعد. و بذلك يكون مهيار المعاون الجيد للناس، المستبصر الذي يفتح أعينهم علي ما لم يروه من قبل.^{١٠}

توظيف أدونيس لشخصية مهيار الدمشقي:

مهيار الدمشقي^{١١}:

هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي الفارسي الأصل، ولد سنة ٣٦٠ للهجرة تقريباً، ولد ببغداد وبها نشأ، وكان بها مجوس كثيرين، أو ولد في بلاد الديلم، وهاجر منها. وكان فيه ذكاء حاد جعله يحسن العربية سريعاً، ويروى أن كان يسكن في الكرخ مستقر شيعة بغداد الإمامية، ولعل ذلك هو الذي أعطاه الفرصة لكي يدرس عقيدتهم.

ولقد اتجه بفخره في بواكير حياته نحو قومه، وبذلك استحال فخره شعوبياً ذميماً، على نحو ما يلقانا في مثل قوله:

أُعْجِبْتُ بِي بَيْنَ نَادِي قَوْمِهَا	أُمُّ سَعْدٍ فَمَضَتْ تَسْأَلُ بِي
قَوْمِي اسْتَوْلُوا عَلَى الدَّهْرِ فَتَى	وَمَشَوْا فَوْقَ رَعُوسِ الْحَقَبِ
عَمَّمُوا بِالشَّمْسِ هَامَاتِهِمْ	وَبَنَوْا أَيْبَاتِهِمْ بِالشُّهُبِ
قَدْ قَبَسْتُ المَجْدَ مِنْ خَيْرِ أَبِ	وَقَبَسْتُ الدِّينَ مِنْ خَيْرِ نَبِي
وَضَمَمْتُ الفَخْرَ مِنْ أَطْرَافِهِ	سَوَّدَدَ الفُرْسِ وَدَيْنَ العَرَبِ

Mihyar of Damascus: His Songs translated by Hyadar & ^{١٠} BeardBOA editions, NY 2008

^{١١} عصر الدول والإمارات، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، ص ٣٧٥: ٣٧٨.

" ولقد استخدم الشاعر أدونيس شخصية مهيار علماً على المرحلة التي كان فيها يرفض الواقع الحضاري العربي، ويحاول أن يصل أسبابه بحضارة أخرى غير عربية، ولقد كان مهيار من الوجوه التراثية، الصالحة للتعبير عن مثل هذه المرحلة الفكرية والعقائدية، من مراحل تطور الشاعر، لولا أن الشاعر أسرف في تأول شخصية مهيار، وفي إضفاء ملامح فكرية وفنية وروحية على شخصيته لم تكن لتتحملها. ولذلك بدت شخصية مهيار - شأن كل الشخصيات التي استخدمها أدونيس - على قدر كبير من الغموض والغرابة، تصعب معه محاولة الربط بين ملامحها التراثية، وبين الدلالات التي يضيفها الشاعر عليها.

وقد جعل أدونيس مهيار عنواناً، على ديوان كامل من دواوينه؛ هو ديوان " أغاني مهيار الدمشقي ". ثم استدعاه بعد ذلك في بعض قصائد ديوانه التالي؛ " المسرح والمرايا"^{١٢}.

و" إن الشعراء الذين عبروا عن قضية حضارية، قد كانوا من شعراء الشعوبية؛ مثل "مهيار الديلمي" و"بشار بن برد"، وقد حاول بعض شعرائنا - كأدونيس - أن يضيفوا على شعبية هؤلاء دلالة حضارية، بأن يجعلوا منها نوعاً من الرفض لواقعهم الحضاري، والبحث عن وجود حضاري أكثر غنى واكتمالاً. ولذلك فقد جعل أدونيس من مهيار عنواناً على مرحلة من مراحل تطوره الشعري، وأطلق اسمه على ديوان من أهم دواوينه وهو " أغاني مهيار الدمشقي ". وهو يستعير لسان مهيار - أو يمنح مهياراً لسانه - ليعبر من خلاله عن بحثه عن واقع آخر.

ويستمر في ديوانه يضيف على شخصية مهيار ملامح عصرية، لها طابعها الحضاري، تجعله قادراً على تغير الواقع وتحويل الأشياء"

^{١٢} استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. على عشري زايد، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص ١٨٥-١٨٦.

- ف شخصية كشخصية مهيار مثلاً التي استمدتها أدونيس من الموروث الأدبي، لا تحمل في مصدرها التراثي أية ملامح أسطورية، ولكن أدونيس حاول أن يضيف عليها طابعاً أسطورياً، عن طريق منحها بعض القدرات والقوى الخارقة، وحتى في "مقدمته الثرية" التي يقدم بها قصيدة "فارس الكلمات الغريبة" - وهي إحدى القصائد التي استخدم فيها شخصية مهيار - يبدو لنا مهيار شخصية أسطورية شديدة الغرابة، يقول أدونيس :

" فهو يقبل أعزل كالغابة، وكالغيم لا يرد، وأمس حمل قارة ونقل البحر من مكانه. يرسم قفا النهار ويصنع من قدميه نهاراً، ويستعير حذاء الليل، ثم ينتظر ما لا يأتي . إنه فيزياء الأشياء، يعرفها ويسميها بأسماء لا يبوح بها، إنه الواقع ونقيضه الحياة وغيرها "

ثم يستخدمه بعد ذلك على امتداد القصيدة بهذه الملامح الغريبة .

يقول مقطع " وجه مهيار " من قصيدة " ملك مهيار":

مهيار وجه خانه عاشقوه

مهيار أجراس بلا رنين

مهيار مكتوب على الوجوه

إن عنوان الديوان «أغاني مهيار الدمشقي» ، يفيد استحضار شخص الشاعر العربي " مهيار الديلمي" وهو من الشعراء العباسيين، فمنذ بداية الديوان نتوقع استحضار واستعادة سيرة هذا الشاعر العباسي، وشعره، واتجاهاته ومكونات شخصيته، وعلاقاته الوجدانية.

ولقد جسد " أدونيس" في هذا الديوان شخصية " مهيار الدمشقي" بصورة غريبة، يائسة، حائرة، بل تائرة ورافضة، وهو بذلك يرمز لشخصيته هو في تمرده على الأشكال القديمة وصولاً

إلى مرحلة الخلق والإبداع، حيث يجسد " أدونيس " أفكاره بأسلوب إبداعي جديد يتميز بالرمز والإيحاء.

- ويتألف ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» من عدد كبير من وحدات شعرية تشكيلية، يستقل كل منها بعنوان خاص، ويتعالق مع غيره في فضاء مشترك، تعالقًا يهيمن فيه جوهر من ثنائيات الموت والانبعاث، وهو جوهر ذو طبيعة تموزية، تتأسس بها التجربة الشعرية اللاحقة للشاعر، في بعديها الفكري المضموني، والفني التخيلي التشكيلي^{١٣}.

- وكانت شخصية مهيار هي لسان الشاعر المعبر عن أفكاره، وعن رؤية للحياة في مختلف المواقف.

وقد صور أدونيس ملكًا، بكل ما توصى به كلمة ملك من قوة وسلطة ونفوذ:

- ملك مهيار .

ملك والحكم له قصر وحدائق نار .

وتارة أخرى يجعله " أوديس " الذي يعود إلى وطن بعد غربة، وكثرة تطواف في الأرض، فيجد نفسه غريبًا في وطنه:

- حتى ولو رجعت يا أوديس

حتى ولو ضاقت بك الأبعاد.....

- وتارة أخرى يجعله " ساحر الغبار " صاحب الأسرار العجيبة، يقول:

لي أسراري لأمشي .

فوق بيت العنكبوت .

- ويجعله " سيزيف " الذي يقضي عمره برفع الصخرة:

^{١٣} على عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، ص ٣.

أقسمت أكتب فوق الماء .

أقسمت أن أحمل مع سيزيف .

صخرته الصماء .

- وفي هذا الديوان يوحد أدونيس شخصية مهيار بشخصيتين لشاعرين تراثيين اتسم شعرهما أيضاً بالرفض وهما " أبو نواس"، و " بشار".

- وهكذا فقد ربط " أدونيس " شخصية مهيار بشخصيات أسطورية مثل: أورفيوس، سيزيف، أوديس..... " وشخصيات أخرى شعرية وتراثية، مثل: أبو نواس، وبشار. وكان يهدف إلى مواقف هذه الشخصيات وطبيعتها المؤثرة التي تعاضد شخصية مهيار .

لقد نجح " أدونيس" في توظيف الشخصيات التاريخية غير الأسطورية ليرسم بها شخصيات أسطورية، ومن ذلك شخصية مهيار التي استلهمها " أدونيس" من مورثنا الأدبي، وكذلك شخصية عبد الرحمن الداخل " صغر قريش " الذي كتبه عنه قصيدتين: الأولى بعنوان " أيام الصقر"، والثانية بعنوان " تحولات الصقر".

صورة دمشق في شعر أدونيس :

تبدو دمشق، من بين كل المدن العربية، هي المدينة الأكثر حضوراً في شعر أدونيس والأكثر رموزاً في شعره، سواءً بالتصريح أو بالتلميح .

- وتبدو في شعره مدينة الرفض تارة، ومدينة الطاعة تارة أخرى، كما تعني المدينة المباحة والمدينة المحرمة، وقد تكون دمشق هي المدينة الممكنة وأيضاً المستحيلة.

ولا شك أن مقاربة " حضور دمشق الملتبس والإشكالي في شعر أدونيس تستدعي، بحسب رأينا، مقاربة حضور دمشق السياسة والاجتماع والثقافة في مسيرة أدونيس الإنسان " ^{١٤}.

- ودمشق تمثل في شعر أدونيس : أ- المدينة المعيشة. ب- المدينة الرمز.

وتخترق المدينة المعيشة والمدينة الرمز أزمنة متعددة ومتداخلة. والذي يخص المدينة المعيشة - وهو زمن إقامة أدونيس في دمشق، كما يستعيده هو في سيرته الشخصية؛ والثاني زمن تشكُّل دمشق- الرمز في شعر أدونيس.

المدينة المعيشة "دمشق":

لقد ترك أدونيس قريته الجبلية ، وانتقل إلى اللاذقية عام ١٩٤٤م لمتابعة دراسته الثانوية، ثم نال شهادته الثانوية عام ١٩٤٣م، ثم سافر إلى دمشق لاستكمال تعليمه الجامعي.

وقد أتى أدونيس إلى دمشق - العاصمة - باحثاً عن مصير آخر. ومرة أخرى قدم إلى دمشق في الخمسينات وتدفعه الرغبة في تغيير مصيره.

والتحق أدونيس بقسم الفلسفة بجامعة دمشق، وبعد أن تخرج أدونيس من الجامعة في العام ١٩٥٤م بدأ خدمته العسكرية، وأمضى خلالها ما يقارب السنة في سجن المزة العسكري، بسبب انتماءاته السياسية.

وأمضى فيه مرحلة من أصعب مراحل حياته، وهي فترة الخدمة العسكرية.

ولكن بما أن الحياة هي الوجه الآخر للموت، والأمل هو توأم اليأس وغريمه، فإن حبَّ أدونيس الأكبر ولد في دمشق.

^{١٤} الالتباس الدمشقي في شعر أدونيس وحياته ، محمد على الأتاسي، مجلة معايير، نوفمبر ٢٠٠٣م.

وفي بداية الخمسينات التقى أدونيس برفيقة حياته الفكرية والعائلية "خالدة سعيد"، وتزوجا في عام ١٩٥٦م، بعد خروجهما من السجن، وقبل مغادرتهما النهائية دمشق في اتجاه بيروت. فكانت مدينة دمشق هي مهد الحب الأكبر في حياة الشاعر.

ومنذ ذلك الزمن، لم يعد الشاعر إلى دمشق إلا لأوقات متقطعة قصيرة.

لقد "خرج أدونيس من دمشق حاملاً جرحه الشخصي والشعري ليبدأ رحلة المجهول في المدن والثقافات. من بيروت مجلة شعر، إلى بيروت الحرب الأهلية ومجلة مواقف، إلى باريس الصحافة المهاجرة والأدباء المنفيين، إلى نيويورك، برنستون، جنيف، برلين، وغيرها الكثير من المدن، حيث غدا أدونيس، فيها ولها، شاعراً عالمياً لا تحدّه هوية ولا يعتره تصنيف" ^{١٥}.

دمشق في الشعر:

ويظهر ديوان (أغاني مهيار الدمشقي) بدأت دمشق تبدو في شعر أدونيس إسماً ومضى. كما بدأت تظهر في سائر شعره.

يقول أدونيس على لسان مهيار الدمشقي:

للوجوه التي تبيّسُ تحت قناعِ الكآبة/ أنحني، لدروبٍ نسيْتُ عليها دموعي/ لأبٍ ماتَ
أخضرَ كالسحابة/ وعلى وجهه شراعٌ/ أنحني. ولطفلٍ يُباع/ كي يصلّي وكي يمسحَ الأحذية/ ولصخرٍ
نقشْتُ عليه بجوعي/ أنه مطرٌ يتدحرجُ تحت جفوني وبرقٍ/ وليبتِ نقلتُ معي في ضياعي ترابَه/
أنحني - هذه كلُّها وطني، لا دمشق.

- وقد كانت استعانة الشاعر أدونيس بذبك الشاعر العباسي البغدادي "مهيار الدليمي" وانتزاعه سياقه المكاني والزمني، وإدخاله في سياق رؤيته الشعرية الخاصة، مما هيا لهذا الرؤية

^{١٥} الالتباس الدمشقي في شعر أدونيس .

الحركة بين فضاءات الأمكنة والأزمنة والشخوص التاريخية أو الأسطورية، ومكّنها من خلق فضاء شعري خاص بها .

وكان لمهيار هوية دمشقية ، وحاول بها الشاعر أدونيس من خلال توظيفها عبر مهيار أن يحملها الكثير من أفكاره، واتجاهاته في الرفض والتحدي.

ونقف عند نص من (أغانى مهيار الدمشقي) لأدونيس (على أحمد سعيد):

- ويبدأ هذا النص بعرض قصة مهيار في العهد الجديد، إذ فقد عشاقه لكون شعره بلا رنين، ولكون شعره من التائهين، لا يقدم رؤيا واضحة عن الإنسان. ثم يعرف الشاعر بنفسه، فهو ذو رؤيا واضحة مخالفة لرؤيا غيره، ويؤكد أن رؤيته تتجاوز واقع المدينة لتقدم رؤيا مستقبلية.
- ثم يأتي مقطع المدينة وفيه يعرف برؤيا المحدثين، فهي رؤيا تهدم المدينة والواقع، وتبني رؤيا ثقافة ثورية، تعكس عالماً شاسعاً وخاصاً. يقول:

هربت مدينتنا

ماذا أنا، ماذا؟ أسنبلة

تبكي لقبرة

ماتت وراء الثلج و البرد

ماتت ولم تكشف رسائلها

عني ولم تكتب إلى أحد

.....

هربت مدينتنا

- وهكذا نرى النص مجسداً لخصائص المعاصرة والحداثة، كما أن النص يلجأ إلى الصور القائمة على الرمز أداة للتعبير، مما ينبئ عن تجربة شاملة تنصل باتجاه الحداثة في الشعر.

و الرفض لؤلؤة مكسرة
ترسو بقاياها على سفني
و الرفض حطاب يعيش على
وجهي - يلملمني ويشعلني
و الرفض أبعاد تشتتني
فأرى دمي وأرى وراء دمي
موتي يحاورني ويتبعني .
هربت مدينتنا
فرأيت كيف يضيئي كفني
ورأيت - ليت الموت يمهلني

الخاتمة

يتعدى مفهوم الحدائثة عند أدونيس فكرة شكل القصيدة و بنائها إلي مضمونها . والحدائثة لديه ليست مقترنة بالزمن، علي قدر ارتباطها بتجديد الفكر . وتغير فيها رؤية الإنسان إلي الأشياء، فيعيد تفكيره فيها . و هي نظرة خاصة بلغة خاصة يتجدد فيها الفكر والمضمون . ولقد وافق فكر أدونيس مع المشروع الحدائثي .

ومن الممكن أن يجد القارئ لقصائد أدونيس أن الفلسفة تغلب علي الشعر .

وقد جعل أدونيس شخصية " مهيار الدمشقي " عنواناً علي ديوان كامل، وأكسبها بعض الصفات الأسطورية .

استخدم أدونيس الشخصية القديمة للشاعر مهيار الفارسي وعلاقته بالآخرين، رمزاً لرفض الواقع الحضاري العربي .

نجح الشاعر أدونيس في التعبير بالإيقاع والصور والرمز والأسلوب، إضافة إلي الرؤيا الحدائثة، في توظيف شخصية مهيار الدمشقي، للتعبير عن المناخ النفسي للشاعر أدونيس، والتعبير عن رؤيته للشعر الحديث .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن منظور :

(١) معجم لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة- مصر، مادة : رفض.

أدونيس :

(٢) الآثار الكاملة: المجلد الأول ، دار العودة، بيروت ١٩٧١ص.١٥.

(٣) زمن الشعر، دار العودة ، بيروت الطبعة الأولى ص.٤٥.

(٤) المعجم الوسيط الدار المصرية اللبنانية ، مادة حدث ٢٠٠٣.

ثانياً: المراجع:

(١) إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة ١٩٧٨ م.

(٢) أحمد المجاطي : "أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث"، دار الآفاق الجديدة ،

١٩٩٣ م.

(٣) أرسطو : "فن الشعر" ترجمة صالح عبد العزيز، منشورات الكرامة .

(٤) آلان تورين: "نقد الحداثة" ترجمة أنور مغيث المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٨ م.

(٥) الالتباس الدمشقي في شعر أدونيس وحياته، محمد على الأتاسي، مجلة معايير، نوفمبر ،

٢٠٠٣ م.

(٦) إيريك فروم: "الخوف من الحرية" ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية

للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٧٢ م.

(٧) جاك دريدا: "الكتابة والاختلاف" ترجمة كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر، ٢٠٠٠ م.

(٨) حسين حسن سرمك: إشكاليات الحداثة في شعر الرفض و الرثاء، دار الينايع

٢٠١٠ م.

(٩) حوار مع أدونيس: صقر أبو فخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

٢٠٠٠ م.

(١٠) شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، دار المعارف بمصر، ط ٣.

- (١١) ضاهر عادل: الشعر و الوجود، دراسة فلسفية في شعر أدونيس، دار المدي ٢٠٠٠م.
- (١٢) عبد الرحيم مراشدة: أدونيس والتراث النقدي، دار الكندي للنشر والتوزيع - إربد ، ١٩٩٥م.
- (١٣) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- (١٤) عمر حفيظ: الكتابة و بناء الشعر عند أدونيس، الطبعة الأولى، دار الساقى، ٢٠١٥م.
- (١٥) غاستون باشلار : فلسفة الرفض : مبحث فلسفي في العقل الجديد، ترجمة مي خليل، دار الحدائة، لبنان ١٩٨٥ م.
- (١٦) كاظم جهاد: "أدونيس منتحلا"، أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.
- (١٧) كمال أبو ديب: "الشعر و التأويل في شعر أدونيس"، أفريقيا الشرق، ١٩٩٨م.
- (١٨) معمر عطوي: "الحدائة، الاجتهاد الغائب" دار النهضة العربية، ٢٠١٤م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

Mihyar of Damascus: His Songs translated by Hyadar –١
- & BeardBOA editions, NY 2008

رابعاً: الروابط الالكترونية :

- (١) <https://www.marefa.org/elbayati/autobiography>
- (٢) <http://www.adab.com/modules.php>
- (٣) <https://marefa.org/Adonis/autobiography>